# القـرآن الكــريم والسنــة في مواجهــة الانحرافات


إعداد الدكتور:

سيف راشد الجابري

أستاذ الثقافة والمجتمع بالجامعة الكندية بدبي،

ومعهد الشارقة للتراث - الإمارات العربية المتحدة

## الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضى الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،،

فهذا بحث بعنوان (القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهه الانحرافات) تناول فيه الباحث قضية الانحرافات الفكرية والسلوكية وكيفية مواجهتها والتصدي لها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وقامت البحث ببيان مفهوم الانحراف وأنواعه، وأهم أسبابه وأبرز مظاهره، ثم بدأت تضع علاجا لتلك الانحرافات، وقد استخدمت في ذلك كله المنهج الاستقصائي والاستنباطي، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – السنة – الانحراف– التحولات .

# The Holy Qur'an and the Sunnah of Prophet Muhammad (Peace be upon Him) Facing Transgression

By: Prof. Seif Rashid Al-Gabry
Professor of Culture and Society
The Canadian University in Dubai & Al-Sharjah Heritage Institute, UAE
Saif2546@yahoo.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

**Abstract**

This research is entitled {The Holy Qur'an and the Sunnah of Prophet Muhammad (Peace be upon Him) Facing Transgression}. The researcher has tackled the issue of intellectual and behavioral transgressions and how to face them aided by the Holy Qur'an and the Sunnahof Prophet Muhammad (Peace be upon Him). The researcher has displayed the concept of transgression, its types, its causes and its most apparent symptoms. Next, the researcher has prescribed a remedy for such transgressions. She has followed the deductive and inductive approaches through the texts of the Holy Qur'an and the Sunnah.

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيـــد

بعد الاطلاع على محاور المؤتمر المعدة من قبل اللجنة المنظمة، ومشاركة في هذا التوجه الإسلامي من مراكز العطاء العلمي والصرح الفقهي ومنبع جامعة العلم والمعرفة (جامعة الأزهر) المزهر بجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين عبر القرون المتتابعة منذ إنشائه.



وهو قبلة المسلمين من أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي لتلقي العلوم الشرعية المختلفة؛ لبناء المؤسسات الإسلامية في مختلف أقطار الأرض؛ لتمكين المسلمين من العطاء، والدعوة إلى الله بالمفهوم الوسطي؛ حيث كان الأزهر ولازال ممثل العالم في الوسطية والاعتدال في اطروحاته العلميـة على مختلـف المذاهـب الفقهية والآراء العلمية التي تجمع وحدة الأمة وتساهم في بناء صرح المجتمع، والتعايش بين الشعوب بروح الإخاء والرحمة والمحبة.

وعلى ما تقدم من ديباجة يسعدني المشاركة في المحور الرابع الموسوم بعنوان (علوم القرآن والسنة النبوية والقيم) وتحت هذا المحور أتشرف بالمشاركة في الفقرة الأولى المعنونة بـ (علوم القرآن الكريم والسنة في مواجهة الانحرافات) من خلال القيم التي جعلها الله سبحانه وتعالى أساس الدين وعنوانه الشامل في فهم الحياة والعمل على ترسيخ المبادئ الخلاقة بين كافة أطراف المجتمع ويأتي ذلك جلياً عند قوله تعالى: "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [الأنعام:١٦١]، أي: أن هذا الإسلام هو دين الله الذي ختمه بنزول القرآن على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانت حياته قبل البعثة وبعدها طريقاً منيراً بالقيم الإنسانية، التي عالجت الانحرافات الفكرية التي تؤثر في مسيرة الحياة ، وتؤثر سلباً في استقامة الأمور، وتكون هذه الانحرافات الفكرية أو العقدية أو السلوكية أو العملية معول هدم لبناء صرح الإنسانية التي

أمر الله تعالى أن يكون الإنسان فيها خليفة في الأرض وأن يعمرها بالخير والصلاح، ونهاه أن يفسد فيها ويهلك الحرث والنسل نتيجة فساده الأخلاقي في المعاملة مع غيره ؛ نتيجة انحرافه عن جادة الحق والطريق المستقيم.

وصدق الله العظيم القائل: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [الروم:٤١].



لقد كان ولازال لعلماء الأزهر الشريف الكعب العالي في القبول بين كافة الشعوب، لما يتمتع به علماء الأزهر الشريف من فكر نير وعلم غزير وفهم عميق لمبادئ الدين الإسلامي وقيمه التي تعنى بالإنسان والمكان لعيش بني البشر في لحمة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"[1].

إن إعادة النظر والتبصر في أمر الله تعالى في شؤون الحياة ؛ حيث جاء الأمر بتدبر القرآن العظيم؛ لأن التدبر منهاج حياة ، وعلى هذه النظرة يمكننا المشاركة معاً لاستكمال مشروع ترسيخ القيم المجتمعية من خلال المحاور التالية:

**المحور الأول:** الإشارات والدلالات القرآنية في التحولات الكبرى (سورة سبأ) أنموذجًا.

**المحور الثاني**: السنة النبوية وأثرها في إبراز معالم الانحراف الفكري.

**المحور الثالث:** دور القيم الاجتماعية في الحد من الانحراف الفكري.

**المحور الرابع** : الآليات العملية للتصدي للانحراف الفكري.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ( ٥١٣٧ ) .

وهذه المحاور تأتي بدلالات المعرفة في معنى التدبر ؛ لإصلاح ما يمكن إصلاحه من حياة المجتمعات البشرية ، التي من طبيعتها التغير من الأسوأ إلى الأحسن ، أو العكس من الأفضل إلى الأسوأ ، واستحالة استقرارها في مستوى ثابت ؛ وهي سنة التغيير الربانية؛ لذلك تمت الإشارات في القرآن الكريم والسنة النبوية على المتغيرات وضرب الأمثلة كما يلي.

## المحور الأول

# الإشارات والدلالات القرآنية في التحولات الكبرى (سورة سبأ) أنموذجًا



لقد حمل كتاب الله تعالى مائة وأربعة عشر سورة تحت أسماء مختلفة لها دلالاتها اللفظية وإشاراتها الخفية، ولإثراء المؤتمر بنماذج قرآنية في فهم الفكر وكيفية تحولاته نتوقف عند سورة (سبأ).

فعندما يسمع الإنسان هذه الكلمة يتحول الفكر إلى تلك البلاد العزيزة، التي كانت يوماً من الأيام عامرة بالخير والنماء والسعادة، ولكن نتيجة انحرافها عن الحق وتكذيبها لرسل الله تغير حالها، وفقدت نعمة الله عليها ، هذا ما دلت عليه السورة في عنوانها الذي ارتبط بمضمونها ارتباطاً وثيقاً وصريحاً.

وكلمة سبأ هنا دلت على الحادثة العظيمة لهذه البلدة، فكان لهذه السورة دلالات نحو خطر القصة ومدى تأثيرها في تثبيت المعلومات، فكانت لها إشارات مختلفة، ونسيج مختلف المشارب متحد المورد، حيث أن قصة سبأ تثير فضولاً في النفس لمعرفة تاريخ هذه البلدة العظيمة – والتي أصبحت مملكتها مضرب المثل في كتاب الله– على مدى ما جرى عليها من تغيرات، مع أنه ذكر معها قصص أخرى ، ولكن قصة سبأ لها وقع آخر.

ولما كان سيل العرم فوق أهل هذه الأرض في البلاد، وسار كل طائفة منهم إلى جهة فضربت العرب بهم المثل فقيل: ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ أي متفرقين[1].

وأهل سبأ كانوا يسكنون جنوب اليمن وكانوا في أرض مخصبة ما تزال منها بقية إلى اليوم، وبعد ذلك أعرضوا عن شكر الله وعن العمل الصالح والتصرف الحميد فيما أنعم الله

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي : ١٨١ .

عليهم، فسلبهم الله سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه وأرسل عليهم السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه، وهي الحجارة لشدة تدفقه فحطم السد وانسابت المياه فطغت وأغرقت، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت وتبدلت تلك الجنان الفسيحة صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة.



وفي الأخير تجري السنن الإلهية على المجتمعات الظالمة، والقرى المتمردة، ويصدق الوعد الرباني، ويقع الجزاء العادل من رب العالمين [1].

وعلى ما تقدم إذا وضعنا لأنفسنا سؤالاً عاماً، ما هو التحول المراد من هذه الوقفة ؟

وللإجابة على هذا التساؤل الذي قد يشغل الفكر عن التحولات الكبرى التي حصلت للأمة في سياق السور القرآنية، نقول:

إن الحديث عن السور التي جاءت أسماؤها على معانيها التي تشير إلى تحولات جذرية حصلت لهذه الأمم ضمن تلك الأسماء التي أشار القرآن الكريم، مثل (سبأ) فالتحول الذي حصل هو انقلاب تام وليس انقلاب حكومي، لأن الأمة التي تحدث عنها القرين كانت أمة ذات قوة ونهضة وحضارة يضرب بها المثل، ويشد إليها الرحال ولكنها لما رفضت حكم الحكيم عليها، ولم تتبع ما أمر به جرت عليهم سننه التي سنها على كل أمة تخالف أمره.

وهذا حصيلة الذنوب فكانت النتيجة ان المجتمع بكل ما فيه وعلى ما في البسيطة من خير قد تغير وأصبح لا شيء وهنا نسمي هذا الذي حصل تحول كبير في مجرى الحياة (فسبأ) بعد أن أصبحت مضرب الأمثال في الرخاء والخير، أصبحت مضرب الأمثال في المسخ والخسف والانتكاس والتمزيق والتفرقة والتباعد، هذا ما حصل لهذه الأمة وأمم سبقتها

(١) أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات. المؤلف الدكتور سيف الجابري .

وكذلك سوف يحصل لأمم لاحقة، إلى أن يرث الله الأرض.

فكل أمة تبطر عيشها لابد أن يحصل لها التحول إما من ناحية الحياة الدنيوية أو الأخروية، ونقصد بذلك إما بتحول المجتمع من شرك وفقر وتمزق إلى هداية ووحدة ورخاء أو العكس، وهذا ما حصل لأهل سبأ حيث (تفرقوا في شتى البلاد، فانحازت غسان إلى الشام، وأنمار إلى يثرب، وجذام إلى تهامة، والأزد إلى عمان، ومزقوا كل ممزق، حتى صار أمرهم حديثاً ينتقل، وحكايات تروى، وأحاديث تتداول، كانوا في نعمة سابغة فلم يحفظوها وثياب من العز ضافية فلم يصونوها فجزاهم الله بما كفروا: "ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ" (١) (٢).



هذا من حيث الماضي أما اليوم فالشواهد في حياة الأمم الحاضرة كثيرة، وقد نلحق بهذا التحول بعض الدول والشعوب التي يحصل عندها مثل ذلك سواء في الخير أو الشر، فمن ناحية الخير والرقي وقوة العقيدة والدين نرى أن هناك دولة قائمة وأخرى تفككت واضمحلت.

وهكذا يدور أمر الله الذي يبدل ويغير ويحول من حال إلى حال، وهو لا يتغير بتغير الأحوال لأنه هو الله الدائم.

وفي السورة إشارة لطيفة قد تكون خافية ولكن فيها دلالة على حالة أشارت إليها عند أهل سبأ: وهي الحسد، فالحسد آفة تدمر كل نعمة، ولو تتبعنا كل قصة حصل لها دمار وانهيار لوجدنا أن الحسد هو السبب الأول والأخير في زمانه ومكانه وذلك:

بالسبب المباشر بالعين؛ وهو دخول الشيطان قوى الإنسان بواسطة الحسد والبغضاء.

---

(١) سورة سبأ :الآية.(17) :

(٢) قصص القرآن ص 290 :أ/ محمد أبو الفضل ابراهيم .

السبب الخفي عند الله؛ غضبه سبحانه على الحاسدين لأن مجمل الحسد هو اعتراض على قسمة الله لعباده.

والحسد فيه الآيات والأحاديث الكثيرة، وإنما جعلت قصة سبأ نموذجاً للحسد الصادر من الكبار للصغار لأنهم قالوا إن أبناء الذوات يعيشون النعم بحراقة وجدارة فما بال أبناء الفقراء صاروا غير محتاجين؟ فسألوا الله أن يباعد بين أسفارهم حسداً منهم حتى يعمل أبناء الفقراء لديهم وما ذاك إلا حسداً منهم.



وفي كتاب الله تعالى نماذج كثيرة على أهمية ترسيخ القيم المجتمعية من خلال الدلالات الكثيرة في قصص المجتمعات الغابرة، التي قصها القرآن الكريم علينا ، وما ذاك إلا لكي نعتبر ونعيد ترتيب الوضع الاجتماعي من خلال بناء المجتمع على أسس قوية بأركانها ، كالقيم والعادات والتقاليد ؛ لبناء مجتمع يحافظ على وحدته الفكرية ونسيجه المتباين ، دون شطحات جانحة ، وأفكار متطرفة ، تغيِّر مسار المجتمع من الأحسن إلى الأسوأ ؛ ليصل المجتمع إلى التمزق الجغرافي نتيجة تمزقه الفكري.

لذلك كانت سورة سبأ علامة بارزة في هذه التحولات الكبرى في الفكر ، ثم تغير الحال من الأحسن إلى الأسوأ ، ومن قوة إلى ضعف ، ومن وحدة إلى شتات ، نسأل الله –تعالى– أن يصرف عنا الحسد والبغضاء والسوء والفحشاء ويهب لنا من لدنه حباً وولاء.

## المحور الثاني

## التدابير النبوية للوقاية من الانحراف الفكري

إشارات القرآن الكريم إلى العناية بتحفيز العقل البشري من خلال التفكير السليم، والتدبر المثمر الذي يخدم الفرد والمجتمع، ويعمل على ترسيخ الإيمان ، ويؤمِن للمجتمع سبل العيش الكريم ، ويهدف إلى استثمار موارد الطبيعة لعمارة الأرض ، وتطوير بنيتها ، وإصلاح مكوناته ، ظاهر في آيات القرآن الكريم التي تدعوا إلى التفكير في خلق السموات والأرض ، وتقليب النظر في المخلوقات ، ودراسة خصائصها واكتشاف موادها ، قال تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) [ الغاشية: ١٧ – ٢٠].



ورغم هذا التوجيه القرآني لمسار العمليات الإدراكية ، فقد وجد في المجتمع النبوي صور من الانحرافات الفكرية ، من موروث المجتمع الجاهلي، فكانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة لتصحيح هذه الموروثات، فعن المغيرة بن شعبة قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم فقال: الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله» [ رواه البخاري ].

ومن رواكد الجاهلية الاستسقاء بالأنواء فعن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله ، عز وجل ، لَيُصَبِّحْ القومَ بالنعمة ويُمَسِّيهم ، فيُصبح طائفة منهم بها كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا » [ رواه الحميدي، وهو في البخاري ].

ومنها ما ورد عن ابن عباسٍ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده » [ رواه أحمد].

ومن المظاهر التي تفسد العلاقات الاجتماعية الاستعانة بالدجالين والمشعوذين والمنجمين ، فقد حذر النبي منهم فقال صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " [ رواه ابن ماجه ].



ونرى الحزم والزجر الشديد من النبي صلى الله عليه وسلم مع أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه عندما قتل رجلاً من المشركين نطق بالشهادة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقتلته» ؟ قال: نعم.

قال: « فكيف تصنع بِلا إِله إِلا الله إِذا جاءت يوم القِيامةِ » [ رواه مسلم ] ، فعندما يتعلق الأمر بالدماء واستباحة الحرمات وسلب الحقوق فلا تهاون مع الفاعل وإن كانت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

ومن الانحرافات الخطيرة التي فتكت بدين النصارى الغلو في عيسى عليه السلام فقد رفعوه من مقام النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً، أو باطلاً، وناقضتهم اليهود في أمر عيسى عليه السلام فغلوا فيه، فحطوه من منزلته، حتى جعلوه ولد بغِي.

ومـــن هنا جاء التحذير النبوي الشديد من الغلو في الدين ، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا" [رواه البخاري] ، وفي الحديث الآخر قال: " هلك المتنطّعون قالها ثلاثا"[ رواه مسلم ].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم "[ رواه أبو داود ] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذا إلى اليمن فقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا» "[ رواه البخاري ].

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا: «لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم"[ رواه أبو داود ] .



وعن أنسٍ أن نفرًا من أصحابِ النبِي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبِي صلى الله عليه وسلم عن عملِهِ فِي السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فِراشٍ فحمِد الله وأثنى عليهِ فقال : « ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا لكِني أصلي وأنام وأصوم وأفطِر وأتزوج النساء فمن رغِب عن سنتِي فليس مِني " [ رواه مسلم].

وواضح من الحديث أن الأخطاء تنشأ من خلل في التصور ؛ فإذا صلح التصور قلَّت الأخطاء كثيراً وواضح من الحديث أيضاً أن السبب الذي دفع أولئك الصحابة إلى تلك الصور من التبتل والرهبانية والتشديد هو ظنهم أن لا بد من الزيادة على عبادة النبي صلى الله عليه وسلم رجاء النجاة؛ حيث إنه أُخْبِر من ربه بالمغفرة، بخلافهم فصحح لهم النبي صلى الله عليه وسلم تصورهم ، وقوَّم انحرافهم الفكري.

ومن مظاهر الانحراف الفكري التعصب ، وقد حذر منه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وبين خطورته على المجتمع ، وتقويض أركان الدولة، وزرع الفوضى، فقال صلى الله عليه وسلم: «من قتل تحت راية عميةٍ، يدعو عصبيةً، أو ينصر عصبيةً؛ فقتلةٌ جاهليةٌ» [صحيح مسلم]، وقال صلى الله عليه وسلم: « ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[ رواه أبو داود].

فالتعصب يصم عن سماع الحق، ويعمي عن رؤية الصواب، ويدفع إلى رفض الآراء، والنظر في أدلتها، ويميل بصاحبه إلى الالتفاف حول جماعته، أو مذهبه، بكل ما تحمل من حق وباطل.



إن من أكبر أسباب الانحراف الفكري، غلبة الاستبداد بالرأي، وعدم الاستماع إلى الآخرين، وترك الشورى وإهمال العمل بها، فرأي الواحد لا يمكن أن يكون صواباً دائماً، بل هو في حاجة ماسة إلى الرأي الآخر لينضج ويكتمل، ويسلم من الوقوع في الخطأ والضلالة.

واليوم نرى بعض مظاهر الانحراف الفكري يعبث في أمتنا بين الحين والآخر بدرجات متفاوتة، قد يبلغ إلى درجة خطيرة، تصل إلى تدمير مقدرات الوطن وقتل الناس بالباطل، بسبب غلو في الدين ، وانحراف عن الفكر المستقيم، بحجج ضعيفة ، وآراء شاذة.

فمن هنا نقول إنه لا يمكن أن يتصور وجود مجتمع إنساني مستقر و آمن، ويعيش الناس في ظله بأمان و بسلام، مع وجود انحراف فكري في وسطه ، ولا يمكن أن تقوم الدولة بمهامها العادلة بوجود أفراد في المجتمع يشيعون الفتنة، ويدعون إلى الضلالة ، ويصادر فيه فكر الآخر.

وعلى ما تقدم من الهدي النبوي الرائع من إشارات ودلالات على أهمية إصلاح الفكر المجتمعي نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وهو مصدر الخير للمجتمعات، وما حادثة اختلاف قريش حول من يتشرف بوضع الحجر الأسود في مكانه ومشاركته صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول إلا نماذج من حرصه على سلامة المجتمع ووحدة أبنائه ؛ لذا لابد من إعادة قراءة السيرة النبوية للأجيال حتى يعلموا قيمة المجتمع وكيف يحافظون على وحدته وأمنه وسعادته.

## المحور الثالث

## دور القيم الاخلاقية في التصدي للانحراف الفكري

### الأخلاق في اللغة:

جمع، مفرده (الخلق)، والخلق يطلق على الطبع والسجية والمروءة والدين، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة(١).



### الأخلاق في الاصطلاح:

قدم العلماء قديماً وحديثاً تعريفات كثيرة ومتنوعة للأخلاق فمن القدماء نختار ما ذكره الإمام الغزالي حيث يقول عن الخلق إنه: هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً(٢).

### تعريف علم الأخلاق:

أما عن تعريف الأخلاق كعلم له مبادئه وأصوله وقواعده فقد عرفه البعض بأنه علم العادات، وعرفه البعض الآخر بأنه علم الخير والشر، وهناك من عرفه بأنه علم القواعد التي تحمل المرء على فعل الخير واجتناب الشر، ويصل العمل بها إلى المثل الأعلى للحياة.

أما التعريف الشامل فهو علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، وعلم الرذائل وكيفية اجتنابها ليتخلى عنها، والإلمام التام بجميع القواعد التي بإتباعها يكون عمل

---

(١ ) راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي ولسان العرب لابن منظور.

(٢ ) إحياء علوم الدين، ج٣، ص ٥٣، دار المعرفة، بيروت.

الإنسان خيراً، وتكون حياته سعيدة[1].

### أهمية الأخلاق وضرورتها للحياة الإنسانية:

سوف تظل الأخلاق حاجة أساسية للإنسان وبدونها يصبح الإنسان ذئباً يفترس أخاه الإنسان مما لا يطاق معه إقامة حياة اجتماعية سليمة.



### الأخلاق ضرورة اجتماعية وحاجة حضارية:

وإذا كان الإنسان في حاجة إلى الأخلاق، فإن المجتمع لا يقل عنه في حاجته إليها، فكما أن الفرد يضيره ويفسده أن يكن كاذباً مرائياً حسوداً خائناً ماكراً ظالماً، كذلك يفسد المجتمع بشيوع هذه الصفات في أفراده، فالأخلاق هي الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم.

فالأخلاق هي سر بقاء الأمم، ولا بقاء لأمة تفرط في أخلاقها وتتهاون في قيمها ومبادئها الروحية، وصدق الشاعر في قوله:

إنما الأمم بالأخلاق ما بقيت  فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم  فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

ويقول آخر:

وليس بعامر بنيان قوم  إذا أخلاقهم كانت خراباً[2].

---

(١) راجع العقيدة والأخلاق للدكتور بيصار منشورات المكتبة العصرية، بيروت، والأخلاق بين الفلسفة والإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغني، ص ١٣، ودراسات في فلسفة الأخلاق للدكتور محمد نصار.

(٢) راجع علم الأخلاق الإسلامية للدكتور مقداد يالجن، ص ١٠٨ – ١٢٢، وكتابه الآخر التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ١٦٢ –١٨٣.

**منزلة الأخلاق في الإسلام:**

حينما نتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [رواه مالك]، ندرك تمام الإدراك منزلة الأخلاق وأهميتها في نظر الإسلام حيث جعل صلى الله عليه وسلم أهداف بعثته إتمام مكارم الأخلاق.

وقد تجمعت مكارم الأخلاق، وأمهات الفضائل فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أمره الله عز وجل بأن يقتدي بالأنبياء السابقين وأن يهتدي بهداهم فقال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ" [الأنعام:٩٠].

والخلاصة أن النظام الأخلاقي في الإسلام شامل لكل جوانب هذا الدين: عقيدة وعبادة، فمن لم يتخلق بالأخلاق الحسنة لا يقبل الله منه الإيمان والدين حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" [ صحيح ابن حبان].

وهذا بيان عظيم من الرسول صلى الله عليه وسلم في أهمية الأخلاق ؛ لذلك جاء ذكرها كثيراً لما تحمله من قيمة اجتماعية تسهم في استباب الأمن المجتمعي ، وتتري مسيرة حياته للعمل بقيم الدين وعادات الناس الحميدة والتقاليد الموروثة الدالة على ثوابت المجتمع؛ ليتناقلها الأجيال، لبناء مجتمع فاضل يسهم في المحافظة على هويته الوطنية وقيمه الأخلاقية.

**الإعلام:**

من مفاهيم المعرفة الإعلامية أن الإعلام الهادف: "يعطي المجتمع ما يحتاجه وليس ما يريده".

إن الإعلام أكبر منصة اجتماعية مشتركة بين طبقات المجتمع ، وعليه مسؤوليات مهنية عظيمة لحماية الفكر من الانحراف ، فإن المقولة التي بين هلالين لها أهمية حيث إن مهمات

الإعلام أن يعطي المجتمع ما يحتاجه من علم وثقافة ومعرفة وسلوك وقيم ... لا يعطيه ما يريده كالطفل ، فإن الطفل يعطي ما يحتاج لتنشئته، ولا يعطي ما يريد ؛ لأنه يجهل الأضرار، ولا يدرك العواقب.

فالإعلام مؤسسة هامة يجب الانتباه لمخرجاتها ؛ وتحديد مسارها لخدمة المجتمع ، وليس لجمع المال، وحرف مسار نظرة المجتمع إلى الشكليات والأفكار الهدامة التي تطغى على قيم وأخلاق المجتمع.

## المحور الرابع

## الآليات العملية للتصدي للانحراف الفكري



تمر أمتنا الإسلامية بزمان عصيب أحدقت بها الأخطار من كل جانب، ومزقتها الخلافات تمزيقاً جعلها من أضعف أمم الأرض رغم كثرتها، حتى أصبحت في حاجة إلى لم شملها وتوحيدها.

فالوحدة الإسلامية كثيرة أسبابها، متينة روابطها، لا تمتلكها كلها أمة من الأمم على الإطلاق، فالأمم تجمعها الأرض أو العنصر أو التاريخ أو المصالح أو اللغة.

وما كان الأمن الروحي الا نتاج هذه القواعد التي جعلت الأمة الإسلامية خير الأمم علاقة مع بعضها ومع الآخرين ، من مختلف الأديان والأمم والشعوب ، ولابد من البيان أن مدخل الانحراف على هذه القواعد أدخل الخوف إلى القلوب، فتغيرت أحوال الأمة وتبدلت مناهج السلوك الحياتي لديها، مما حرمها من نعمة الأمن الروحي الذي نعمت به سنين طويلة مع غيرها.

ونحن في هذه المداخلة نركز على بعض الأمور التي توضح أثر الانحراف الفكري على الأمن الروحي ولعل هذه الآية توضح المراد كما في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" [ الحج: ١١] أي: إذا رأى ما لا يحب انقلب على وجهه، وقيل: على حرف، أي: على شك، وحقيقته: أنه يعبد الله على حرف، أي على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن، فإن أصابه خير اطمأن به، أي إن أصابه خصب، وكثر ماله وماشيته، اطمأن بما أصابه ورضي بدينه، وإن إصابته فتنة اختبار بجدب وقلة مال انقلب على وجهه،

أي رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان[1].

ولعلنا نستفيد من عمومية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها" قالوا ما ذاك يا رسول الله: قال: " الدَّين "والدين هنا كثرة مطالب الحياة وهمومها وجمعها مما يتراكم على الإنسان الديون التي تؤثر في الأمن الروحي الذي هو باب عظيم في استقامة الحال وهذا فيه وصف جيد لكيفية حماية الإنسان نفسه، وما يتعرض له، وأنه من أخطر ما يصيب الإنسان، ويفسد عقله وسلوكه، إذا غفل عنه، وتساهل في الوقاية منه.



ومن خلال ما سبق ذكره، تأتي المداخل لذكر بعض أسباب الانحراف الفكري لكشف حقيقته، وبيان آثاره على حياة الإنسان وأفعاله، وأمنه الروحي.

**وهذه بعض العوامل الوقائية والعلاج من الفكر المنحرف وتحقيق الأمن الروحي:**

**ـ المنزل والأسرة:**

قيل: (إذا علمت رجلاً فقد علمت فرداً وإذا علمت امرأة فقد علمت جيلاً)، فالأسرة هي الخلية الأولى التي يفتح النشء عينيه عليها، وتأثيرها عليه يقوم بدور كبير في توجيهه وتكوينه، وبالقدر الذي تقدمه الأسرة للطفل من مميزات تربوية بقدر ما يكون وينمو ويواجه المجتمع بمشكلاته العريضة، ولا يختلف اثنان على أهمية دور الأسرة في معالجة الانحرافات السلوكية والفكرية في المجتمع وخاصة تلك المتعلقة بالأبناء لأن الفرد يتعلم حقيقة الدور الاجتماعي وأبعاده النفسية والسلوكية من أفراد عائلته.

لماذا الأسرة؟ لأن نواتها الأم المربية في المجتمع هي صمام الأمان ومصدر قوة ومصنع جيل ومعمل تربية.

---

[1] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ٩/ ٤٣.

**ـ التعليم وصيانة الشخصية السوية:**

المؤسسات التربوية دورها كبير في تكوين الشخصية السوية، ويقع على عاتقها إكساب الفرد المعلومات والمهارات، وأنماط التفكير والتي بواسطتها يستطيع الفرد التعامل مع المشكلات التي تواجهه في حياته العملية، وكذلك التعامل مع المجتمع من حوله، كما تكسبه القيم الجماعية التي تسهم في تنمية شخصيته وحمايته من الانحراف الفكري.



والأمن الروحي، هو حجر الزاوية في أمن الوطن الذي يجمع بين (أمن الدولة) وبين (أمن الشعب). وهو إلى ذلك، جزء أساسٌ من المنظومة المتكاملة المترابطة للأمن في مفهومه العام ومدلوله الشامل ومضمونه العميق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به)) [ رواه البخاري ].

## الخاتمة

إن للأزهر الشريف بعلمائه ومفكريه والقائمين عليه اليد العليا لما يقدمونه للمجتمع المصري خاصة وللعالم عامة من الفكر المستنير والسلوك المعتدل الرؤيا الوسطية للإسلام؛ لذلك نقول: لابد من فهم سليم وإسناد الإمر إلى أهله ؛ لأن لكل علم أهله وحملته ، وهم درجات بعضها فوق بعض ، وعلم الشريعة الإسلامية أهم العلوم على الإطلاق، لأنه يتعلق بأمر الدنيا والآخرة ، ففيه أمر الأجساد والحياة، وفيه حدود الأفكار والتصورات، وفيه بيان العواقب والمآلات، فهل يصلح أن يتصدر له من لا يحسنه؟ وهل نسمح بتولي أمره من لا يتقنه؟!

وعلى ما تقدم نختم القول بما تيسر من معرفة وفهم ليكون رافداً من ورافد العلوم المختلفة في هذا المؤتمر المبارك النافع إن شاء الله تعالى الذي نسأله مسك الختام بالتوفيق والسداد.

### التوصيات والمقترحات:

- الاهتمام بالمناهج التربوية، والرقابة على المواد الإعلامية، والعناية بالمؤسسات الوعظية وخاصة المساجد وحلقات العلم فيها ، والتحقق من توافقها مع خط الاستقامة والاعتدال ، وعدم احتوائها على بذور الانحراف وعناصر الفتنة.

- إنشاء مؤسسات وبرامج مجتمعية تغذي فكر الشباب وتشبع وجدانهم الديني بقيم التسامح، والأخلاق الحسنة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

- حث الجامعات ومراكز البحث لإجراء البحوث العلمية العميقة لدارسة ظاهرة الانحراف الفكري بكل اتجاهاته ، وإيجاد الحلول المناسبة للقضاء عليه والتخفيف من آثاره، والحمد لله رب العالمين.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| التمهيد | ٣٧٤٧ |
| المحور الأول: الإشارات والدلالات القرآنية في التحولات الكبرى (سورة سبأ) أنموذجًا | ٣٧٥٠ |
| المحور الثاني: التدابير النبوية للوقاية من الانحراف الفكري | ٣٧٥٤ |
| المحور الثالث: دور القيم الاخلاقية في التصدي للانحراف الفكري | ٣٧٥٨ |
| المحور الرابع: الآليات العملية للتصدي للانحراف الفكري | ٣٧٦٢ |
| الخاتمة | ٣٧٦٥ |
| فهرس الموضوعات | ٣٧٦٦ |